مُشكِلاَت اللغَة وَالمصْطلحَات

I

الدكتور يوسف الخوري

رئيس قسم الجيولوجيا
(جامعة دمشق)

يثبت الواقع التاريخي ، ان الامة العربية تاتي في طليعة الامم التي كانت تنشر العلم والمعرفة على البشرية جمعاء . وذلك عندما توطدت لها دعائم الملك فاستغلت امكاناتها ووجهت اهتمامها في بادىء الامر لنقل العلوم الاغريقية والفارسية واليونانية والهندية والسريانية الى اللغة العربية ومن ثم خرجت على البشرية باحدث النظريات التي كانت تسبق المفاهيم العقلية السائدة في ذلك الوقت . والتي تتناسق اليوم مع احدث المعطيات العلمية المعتبرة سبقا علميا يطبع عصرنا هذا بطابع العلم والاختراع . ولنا في مؤلفات البيروني وابن الهيثم وابن سينا وغيرهم من علماء عصرهم اكبر دليل على رقي المفاهيم العلمية في ذلك العصر . الذي يعتبر بحق العصر الاسلامي الذهبي. والذي يمتد من القرن الرابع الهجري حتى منتصف القرن الخامس . ولقد انصف المستشرق الاميركي « ايريبوب » البيروني حين قال : ان اية قائمة تحوي اسماء اكابر العلماء يجب ان يكون فيها لاسم البيروني مكانه الرفيع . ومن المستحيل ان يكتمل اي بحث في الرياضيات او الفلك او الجغرافيا او التاريخ او علم الانسان او علم المعادن دون الاقرار بمساهمة البيروني العظيمة في كل علم من تلك العلوم .

غير ان العلوم في الادوار التي تلته كانت تتذبذب بين انحطاط او ارتخاء ونهضة او يقظة ، حتى نهاية القرن الخامس عشر . اذ ركدت كليا وبقيت على هذا الحال الى ان حل النصف الثاني من هذا القرن العشرين . فعمت بوادر الاهتمام بالعلوم واحيائها الشرق العربي بكامله وبشكل لم يعرف التاريخ له مثيلا منذ انطواء العصر الذهبي . وذلك اثر نشوب ثورة علمية جارفة اكتسحت البلدان العربية التي نالت استقلالها السياسي بعد معارك ضارية قدمت فيها عددا غفيرا من ابنائها على مذابح التضحية والشهادة. فدعمت استقلالها السياسي بنشر العلم والثقافة وخلقت المعاهد والجامعات واعادت للعلماء والباحثين اعتبارهم التقليدي باذلة لهم الجوائز ومشجعة اياهم على التاليف والاقتباس والترجمة . واصبح العلم من جديد جزءا رئيسيا من كيانها وحيائها .

ان هذه الثورة العلمية التي نحياها تضع امامنا مشكلات جديدة متصل بكيفية تدريس هذه العلوم ونقلها للجيل الصاعد الذي يتلقف العلم على مقاعد التدريس في الجامعات المحدثة في جميع البلدان النامية التي نالت استقلالا مؤخرا ؛ وفي جامعات البلدان التي لا تزال ترزح تحت نير الاستعمار والاستغلال بجميع وجوهه واشكاله .

لقد عالج الدكتور بشير العظمة موضوع هذه المشكلات في مقاله (لغة العلوم) الذي نشره في العدد

(47) من مجلة «المعرفة» الصادر في دمشق بشهر كانون الثاني 1966 . فاتى على جميع ابعاده القومية والفنية، مثبتا ان موضوع استعمال اداة التفاهم الوطنية في المجال العلمي بديهية لا تبلغ درجة الشك وخلص الى ضرورة توحيد لغتنا العلمية من اجل مصلحة العروبة ومصلحة الانسانية جمعاء . ثم تلاه عدد من الجامعيين من اطباء وعلميين فقاموا بمعالجة هذا الموضوع الخطير . وقد ايد بمعظمهم الدكتور العظمة من النواحي القومية والوطنية وعالجوا بعدها المشكلات التي تعترض ايجاد المصطلحات العلمية في بداية الامر بشكل يقبل به جميع الباحثين في الاقطار العربية ، معتمدين على تجاربهم الشخصية في الجامعات العربية التي درسوا فيها ومبينين ان ما ينسب للمصطلحات المعمول بها حاليا من اخطاء يعود الى نقص في التنظيم لا الى فشل بالتعليم باللغة العربية نفسها التي تعتبر بحق من اقدر اللغات على الاداء والتعبير والنحت والتصريف.

ولقد عنيت في هذا المقال ان ادلي بدلوي في هذا المجال الواسع الارجاء ، مستعينا بالتجارب التي مرت علي منذ تاسيس قسم الجيولوجيا في الجامعة السورية بدمشق ، كنت ادرس هذه المادة باللغة الفرنسية في البداية ثم انتقلت بعدها الى تدريسها وبجميع تفرعاتها باللغة العربية القومية مستعينا بالمصطلحات العربية والمنحوتة . **فقد وجدت تجاوبا كبيرا من قبل الطلاب في تدريس هذه المادة باللغة العربية** وتفهما لم اعهده من قبل حين كنت اعطيها باللغة الفرنسية . وكان يعطيها زميل لي باللغة الانكليزية . وقد وقفت بنفسي خلال تجربتي هذه على غنى المصطلحات العربية الواسع في التعبير عن المواضيع الجيولوجية التي سبق للاقدمين ان عالجوها باللغة العربية البديعة ، اذ انهم كانوا ولا شك واقفين على اسرارها . واعتقد جازما ان مصطلحات ابناء الالسنة الاخرى الحية والمعروفة في عصرنا لا تجاريها، وقد اخذوا بقسم كبير منها . ولنا في الامثلة التالية خير دليل على صحة ما ذكرت : فاللابة ونريد بها المهل المتصهرة هي عربية اخذها عنا الغربيون فاستعملوا كلمة Lava يقول الاب انستاس ماري الكرملي البغدادي في تعليقه لكتاب : نخب الذخائر في احوال الجواهر تاليف السنجاري المعروف بابن الاكفاني : «عندي ان اصل اللابة للحرة «اللائبة» لغة في «الدائبة» لانها كانت في الاصل جواهر ذائبة قذفها جبل النار فجمدت على جوانبه واسفله ومنها استعارها الايطاليون فقالوا Lava والفرنسيون Lave

وكلمة المرقشيتا وهي ضرب من كبريت الحديد فقد ذكرها ابن البيطار وكثيرون غيره من ارباب علم المعادن وقالوا انها البوريطي Pyrite blanche او حجر النار وقد اقتبس الفرنسيون منا المرقشيتا فسموها Macossite ونحن اقتبسناها من الاراميين فانهم يسمونها « مرقشيتا » او « كيفامقشيتا » ومعناها الحجر الصلب او الصلد . فحذف العرب «كيفا» وافحموا راء بين الميم والقاف تعويضا عن المحذوف فصارت كما نرى طلبا للخفة في اللفظ (1).

ان امثال هذه المصطلحات العلمية التي اخذها عنا الغرب كثيرة . فالطلق والسفير وغيرها مستعملة لدى الغربيين ويعنون بها الفاظ : Saphir Talc ويراد بالاولى البودرة والثانية حجر كريم ، وكذلك اخذوا عن اللازورد لفظة Azur للدلالة على لون السماء اذ ان المراد باللازورد حجر كريم مشهور بحسن لونه الازرق السمائي .

على ان العرب من ناحيتهم لم يقصروا في الاقتباس عن غيرهم في عهودهم السابقة ولاسيما في عهد العباسيين . فقد دونوا كل ما وضعه العلماء الاقدمون من يونان وفرس ورومان والفوا في معظم العلوم وجاءت تآليفهم من احسن ما كتب والذي فاق الجميع هو بلا شك ابو الريحان البيروني ، الذي يعد من اعظم علماء الاسلام. فقد كتب معظم مؤلفاته باللغة العربية وشارك في اغلب العلوم والفنون والعنائع حتى قيل فيه « انه في التاريخ مؤرخ محقق مدقق ، واسع الاطلاع ، وفي الجيولوجيا ، جيولوجي ممتاز بشهادة الجيولوجيين المعاصرين ، وفي الفلك فلكي ممتاز بشهادة الفلكيين المعاصرين ، وفي الرياضيات رياضي ممتاز بشهادة اساتذة الرياضيات المعاصرين » ، والكلمات المعربة كثيرة في لغتنا العربية تستعمل بطلاقة وتشمل جميع الفروع من آداب وعلوم ، فالياقوت مثلا كلمة معربة من اليونانية وهي Hyakinthos والمغناطيس معربة من اليونانية ايضا Magnes والرطل هو تعريب لطرا Litra الرومية المأخوذة من مثلها في اليونانية وقد دخلها القلب في العربية ، وقد اجاد

(1) كتاب الذخائر في احوال الجواهر .

العرب ايضا فى النحت فنحتوا كلمة الماذنبي وهو نوع من الياقوت يقول النيفاشي فى اصلها : «سالت بعض مشايخ الجوهريين فى سبب تسمية هذا النوع بهذا الاسم فقال : ان هذا الحجر شديد الشبه بجيد الياقوت ، فاذا قوم بدون قيمة الياقوت ، كانه يقول بلسان حال جودته : « ماذنبي » حتى اقوم بدون قيمة الياقوت » فالكلمة كما نرى اذن منحوتة من ما الاستفهامية وذنب مضافة الى المتكلم (2) . والكلمة هي ضرب من البنفش الذى يدعوه الغرب Hyacinthe

وفى رايي انه يمكن لنا وقد زادت الاصطلاحات الفنية فى يومنا هذا زيادة تتناسب مع متطلبات العلوم الحديثة والاختراعات التى اصبحت لا تقع تحت حصر ، ان ناخذ من هذه المصطلحات بالتعريب والنحت كما اخذ عنها علماؤنا فى السابق . ونمارس التدريس بلغتنا القومية فى جميع المجالات العلمية حتى نجاري الامم التى سبقتنا فى هذا المضمار ، مبينين بذلك ان لغة الضاد هي لغة سخية سمحة تجارى العلوم والمخترعات، فهي لغة علوم بالدرجة الاولى كما انها لغة آداب وفلسفة وفنون ، فيمكننا اذا ما اتفقنا على وضع بعض الاسس فى تعريب المصطلحات ان نصل الى الغاية المنشودة .

لقد سبق لكل من الاتحاد العلمي العربي فى مؤتمره الثالث ومؤتمر التعريب فى المملكة المغربية (3) ان رفعا بعض التوصيات المتعلقة بالخطة العلمية المثلى فى تحقيق التعريب بوجه عام وفى تعريب المصطلحات العلمية بوجه خاص . وقد اخذت الجامعة العربية ببعض هذه التواصي . اذ انها انشات المكتب الدائم للتعريب فى المملكة المغربية ويعتبر عمله فى رايي **خطوة جريئة شاملة فى سبيل تعريب المصطلحات العلمية** فى كل قطر عربي ، اذ انه تقدم باقتراحات موضوعية فى هذا المجال كان تنشا فى كل قطر عربي شعبة وطنية تكون صلة وصل بينها وبين المكتب الدائم للتعريب تشمل اختصاصاته توحيد المصطلحات فى جميع الاقطار العربية وجعلها الزامية .

ولابد لي فى النهاية من التنويه بضرورة اتقان لغة اجنبية حية الى جانب اللغة العربية ، ولاسيما فى المرحلة الانتقالية التى نجتازها ، والتى يتوقف عليها مستقبل الامة العربية جمعاء ، فمكتبتنا العربية ما زالت مفتقرة الى كثير من الكتب العلمية باللغة العربية وان اقتصار الطلبة على هذا النذر اليسير من الكتب العلمية العربية لا يكفي لارواء عطشهم الى الاستزادة من هذه العلوم بغية اللحاق بركب الحضارة العلمي الذى هو هدفنا بالدرجة الاولى . وان اتقان لغة اجنبية يساعد كثيرا على وضع المصطلحات باحسن صيغة فنكون بذلك قد افدنا انفسنا واغنينا مكتباتنا وجامعاتنا بالمصطلحات العلمية التى نحن باشد الحاجة اليها .

ولابد لي من توجيه كلمة شكر وامتنان للقائمين على مجلة المعرفة التى سبقت وفتحت هذا الباب للمناقشة . خدمة للعلم والعلماء فى وطننا بوجه خاص وللانسانية والمعرفة بوجه عام . مؤملا عدم الاكتفاء بما نشر فى هذا الموضوع . ومتابعة المؤسسات المختصة هذا الموضوع للوصول الى مقررات توضع موضع التنفيذ وتخدم لغتنا العربية الغالية علينا وجامعاتنا وثقافتنا ، الخدمة التى نتوق اليها ونتمناها .

(يتبع)

---

(2) كتاب الذخائر فى احوال الجواهر .
(3) راجع العدد الرابع من «اللسان العربي».